الفصل السابع

لم ألتق أيا من أصحاب المثلثات الثلاثة، توفي موسى قطاوي قبل ولادتي بثلاثة عشر عاما، وعندما ولدت عام ١٩٣٧ كانت محلات صيدناوي والعمارة التي نسكنها وعمارة لاشياك ومبنى البورصة وغيرها من المباني التي أنشئت محل قصره تبدو مستتبة كأنها كانت دائما في مكانها. وتوفي بهلر في نفس عام ولادتي، أما جروبي فتوفي عام ١٩٤٧ عن أربعة وثمانين عاما. غاب اسم قطاوي من طفولتي فلم أسمع به، أما بهلر وجروبي فقد بدا اسماهما أليفين وجزءاً من حياتي اليومية، أعرِّف بهما عنوان البيت لسائل أو زائر: «أمام ممر بهلر»، «علي بعد خطوات من جروبي سليمان»، أذهب إلى متاجر ممر بهلر للشراء أو لمجرد أن أذهب، أو أدخل جروبي لأنعم بالجلوس فيه وأطلب «آيس كريم صودا» أو أشتري دستة «جاتوه» أختار أنواعه من وراء الحاجز الزجاجي فتنقلها البائعة قطعة قطعة إلى علبة كرتونية بيضاء، تغلقها وتربطها بشريط حريري دقيق أزرق اللون، أدخل بها البيت مزهوا كأنني فاتح عكا.

رغم غيابهم الشخصي، كان للثلاثي قطاوي ـ بهلر ـ جروبي حضورهم الراسخ والمستتب في الحي مُجَسَّدين مُعَيَّنين فيما خلّفوه من عمائر أو شوارع تحمل أسماءهم. كانوا أقرب لآلهة الأولمب في بعض المسرحيات الإغريقية القديمة حيث يفرضون مسار الحدث وتعقيداته، دون أن يظهر أي منهم على الخشبة، أما الثلاثي الآخر المرح فكان مُعَيَّناً أراه يوميا إذ كان يشاركني السكن في نفس العمارة. (المرح هنا عائد عليّ كمتفرج فلم تكن أي من النساء التلاث